## العرب قبل الإسلام

عاش العرب منقطعين عن العلام قبل الإسلام ، يعبدون الأصنام، ويتسلط القوي على الضعيف ليس لهم دين صحيح، ولا وحدة عامة توحدهم وتجمع شملهم، فكانوا يعيشون في ظل العصبية القبلية، وكانوا متفرقين والحروب بينهم مستمرة. وكانوا يعيشون في فساد وفوضى ووحشية وهمجية وحرب وقتال ونزاع دائم.

وكان من تقاليدهم البغيضة وأد البنات ودفنهن أحياء، وكانوا لا يعتقدون في الحياة بعد الموت، ولا يشعرون بمسؤولية أعمالهم. كانوا يؤمنون بالأرواح الشريرة، أما علومهم فقد انحصرت في الشعر والخطابة ومعرفة النجوم والكهانة والأنواء وسقوط الأمطار واقتفاء الأثر.

## أمة الإسلام:

لقد أعز الله العرب الإسلام، فقد أخرجهم من الظلمات إلى النور، وأحيا به أمة هامدة وأصبحوا خلقاً جديداً، لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى والعلم والعمل الصالح، ووجدهم في تقدم ورقي وحضارة ، ودانت الأمة الإسلام الممالك والأمصار في سهولة ويسر، وكيف رضيت بهم الشعوب على اختلاف أجناسها وكيف ازدهرت العلوم وانتعشت الفنون على أيديهم[1].

(١) د/ عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية القاهرة ١٩٨٩م ص ٧ ـ ٨ .

ومهما يكن من أمر فقد كانت أمة الإسلام قائمة على المبادئ الأخلاقية السامية، كما أن أمة الإسلام دستورية، فالحكم في الإسلام مقيد بالقرآن والسنة، وقد حقق القرآن كل أغراض الحكومة الدستورية فجعل الحكم شورى وأزال الفوارق في الحقوق والواجبات، وساوى بين البشر جميعاً. فأُمة الإسلام خير أُمة أخرجت للناس، تؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر وتأمُر بالمعروف وتنهى عن المُنكر، فكانت أول أُمة جمعت بين قوة الإيمان وحب العلم، فنشرت وعقيدة وأقامت حضارة، أضاءت بها الدنيا في وقت كان فيه العالم، فنشرت عقيدة وأقامت حضارة، أضاءت بها الدنيا في وقت كان فيه العلام في ظلام وبؤس وحروب طاحنة.

جاءت أمة الإسلام تؤمن بحرية الإنسان فعاش الإنسان حراً كريماً، وتؤمن بالإخاء والتراحم والتعاطف، فعاش الإنسان مع غيره كالجسد الواحد، ودعت أمة الإسلام إلى المساواة في الحقوق والواجبات، الأمر الذي أشاع الأخاء والمودة والرحمة بين الناس، فعاش المواطن في هدوء وطمأنينة ولهذا كان المجتمع الإسلامي راضياً مطمئنا على يومه وعده[1]

وآمنت أمة الإسلام بالعلم فأصبح المسلمون جميعاً طلاب علم، وانطلق العلماء في البحث العلمي، فنشأت بذلك نهضة علمية في كل فروع العلم والمعرفة، فتقدمت العلوم وارتقت، وتقدم الطب والزراعة والصناعة.

(١) نفس المرجع، ص ٩ - ١٠

وهكذا فإن أمة الإسلام كانت خير أمة أخرجت للناس، تؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وهي أمة وسطاً تعمل على تحقيق الحرية والمساواة والعدل(١).

الروابط التي تجمع أفراد الأمة الإسلامية.

جعل الإسلام من المسلمين أمة متميزة ، وجعلها خير أمة أخرجت للناس وهي تجمع شمل المسلمين وتفتح صدرها لمن لم يكن مسلماً. ولذا قامت الرابطة بين أبناء الأمة الإسلامية على أساس العقيدة الإسلامية التي تقوم على توحيد الإله، والتوجه نحو القبلة في الصلاة، ووحدة الشرائع والأحكام التي تؤخذ من القرآن، ووحدة الحج الذي يغذي روح الوحدة الإسلامية ووحدة اللغة والتاريخ المشترك والقيم والعادات والتقاليد المستمرة من الإسالام.

ولا ريب أن الإسلام قد غير مجرى التاريخ وقطع بين الحضارات القديمة كالفرعونية واليونانية والرومانية والفارسية والهندية، وربط بين الحنفية ورسالة محمد فأعاد سلسلة النبوات وأوجد حضارة متصلة بالسماء من آدم إلى محمد.

غير أن الإسلام قد واجه تحديات منذ ظهوره بسبب ازدهاره، ولكنه تغلب على كل التحديات وأثبت قدرته على البقاء والاستمرار والاتساع،

(١) د. عز الدين فراج، المرجع السابق، ص ١٠

وظل محتفظاً بذاتيته عن غيره من النحل والأديان[١].

## الحضارة الإسلامية حضارة عالمية:

قامت الحضارة على أساس إيمانها بالإسلام ونفورها من التعصب الديني واحترامها لكل الأديان الأخرى، وكان التسامح الديني وعدم التعصب هو مظهر الدين الإسلامي.

وشجع الخلفاء روح الإبداع والابتكار والبحث العلمي والربط بين تعاليم الدين والعلم. وقد ظهر الإسلام بين بيئات جغرافية متنوعة مما أعطاه رقياً مادياً وحضارياً، كما أن وجود الإسلام بين بيئات بشرية متنوعة أعطاه الحيوية والقدرة والبقاء وجعلها تخرج من حدود ضيقة إلى حدود واسعة وهذا ما جعلها حضارة عالمية أخذت عنها الحضارة الأوربية الحديثة[٢].

وقد ازدهرت الحضارة الإسلامية للأسباب الآتية:

١ ـ الإسلام يدعو إلي العلم وبحث عليه.

٢ ـ النبي محمد ﷺ يدعو إلى العلم.

٣ ـ اهتمام الخلفاء بالعلم والعلماء.

---

(١) د/ جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي، عمان ١٩٨٩، ص ١٣.

(٢) د/ عز الدين فراج، المرجع السابق ص ١١.

**أولاً الإسلام يدعو إلى العلم**: جاء الإسلام يحث على طلب العلم ويدعو إليه، وكانت أولى آيات القرآن الكريم تحث عليه وهي: ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم** ﴾، ثم تتابع نزول القرآن ووردت به آيات كثيرة تدعو إلى العلم وتكرم أهله وترفعهم إلى أعلى الدرجات: ﴿ **قل هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾، ﴿ **ويرفع الله الذين أوتوا العلم منكم والذين آمنوا منكم درجات** ﴾ و ﴿ **نرفع درجات من نشأ وفوق كل ذي علم عليم** ﴾ و ﴿ **وإنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾، ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ ﴿ **وقل ربي زدني علما** ﴾.

أخذ النبي يعلم المسلمين فدية لإطلاق سراحهم. وقد ركز القرآن الكريم في كثير من آياته على العلم ﴿ **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ أي أن الله يدعوا إلى البحث في أنفسنا كيف خلقنا وكيف يميتنا وما في جسمنا من أجهزة دقيقة ودراسة العلوم التي تتصل بالإنسان لعلم الطب وعلى النفس. كما علمنا القرآن ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ احترام العلماء وتبجيلهم وتكريمهم حتى يخلصوا في عملهم ويتقدموا في انتاجهم[1].

(١) د/ عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، القاهرة ١٩٩٥، ص ٤٩ - ٦٤

وقال تعالى ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ وهذه الآية تحض على إيجاد علماء متخصصين في كل علم، وإن نرجع في أمورنا لأهل الخبرة والاختصاص واحترام الإسالم العقل الإنساني ودعا إلى النظر في الكون ليدرك عظمة الخالق وقد ورد في آيات كثيرة في القرآن الكريم عن الكون والفلك والرياح والنجوم والحواس كالسمع والبصر والفؤاد. وهذا يؤكد حقيقة علمية لم يصل إليها العلم إلا أخيراً بينما جاء بها القرآن منذ ١٤ قرناً.

وقد أثبت العلم الحديث بالتجارب والأبحاث أن الجنين يولد وتبدأ حواسه بالعمل بعد ذلك، وأول الحواس الذي يستعملها الطفل هي حاسة السمع وتعليها حاسة البصر وأخيراً الإدراك والقدرة على الفهم. وهناك آيات كثيرة تحث على تدبر آيات الخالق والاستفادة منها والبحث عن هذه الآيات من الناحية العلمية الحديثة ليستزيد منها الأطباء والعلماء وليؤكدوا ما جاء فيه من أسرار الكون وعظمة الخالق. وقد أثبت العلم الحديث أهمية البلح في تسهيل الولادة وذلك بعد ١٤ قرناً من نزلو القرآن الكريم كما جاء في سورة مريم ﴿ **وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا** ﴾[١]

(١) نفس المرجع.

## ثانياً: نبي الإسلام والعلم:

حث النبي على العلم وقال في ذلك؛ أحاديث كثيرة «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد» اطلبوا العلم ولو في الصين» طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلم» «المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واجمع العلماء ان الاعتدال في الطعام هو خير وسيلة للوقاية من الأمراض وقال الرسول » ما ملأ ابن آدم من وعاء شراً من بطنه» وقال نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع»[1] وحرم الرسول الخمور تحريماً مطلقاً.

## ثالثاً: اهتمام الخلفاء بالعلم والعلماء:

اهتم الخلفاء بعلوم الدين ثم قاموا بترجمة علوم الأمم السابقة إلى العربية، وحظى المتعلمون برضا الخلفاء الذين كانوا يغدقون عليهم الهبات والعطايا وكان الخلفاء يعلمون خاصتهم وأبنائهم. وحظى المترجمون برضا الخلفاء ومنحوهم الهبات والعطايا، وقد عهد الخلفاء إلى العلماء الأفاضل بتعليم أولادهم. وكان المأمون من أعظم خلفاء بني العباس اهتماماً بالعلم والأدب فشجع العلماء ووفر المكتبات وأنشأ المدارس الإسلامية، وكان يحضر المناقشات العلمية.

وهكذا نجد أن القرآن والسنة النبوية والخلفاء والأمراء قد اهتموا بلعلم وشجعوا على طلبه، الأمر الذي ساعد على ازدهار الحضارة الإسلامية

(١) د/عز الدين فراج، المرجع السابق ٢٩ ـ ٣٧ .

وظهر علماء أفذاذ في مختلف العلوم مثل ابن سينا في الطب وابن الهيثم في الطبيعة (الفيزياء) وجابر بن حيان في الكيمياء. لذلك ازدهرت الحضارة الإسلامية بعلومها المختلفة وصناعاتها المتنوعة والزراعة الناجحة في وقت كان فيه أوروبا تعيش في ظلام دامس، فأسرعت أوروبا لتأخذ من الحضارة الإسلامية(١).

## الحضارة الإسلامية:

ماهي الحضارة ؟ الحضارة هي النشاط الفكري الإنساني في إطار القيم الروحية والأخلاقية المستمدة من العقيدة الإسلامية. فالحضارة تجسيد عملي للنشاط الفكري عند الإنسان عبر اجتيازه معارج الحياة، وتاريخ الحضارة سجل لتطور علطاء الفكر ومدى فعاليته في مختلف نواحي الحياة، من اقتصادية وسياسية واجتماعية وإدارية وحربية وعمرانية وأدبية، كما تتناول الحضارة إلى جانب ذلك وسائل انتاج الإنسان ومستوى معيشته، وفنونه الجميلة، ومعتقداته الدينية، وكيفية تحصيله علومه، وطرق صياغة أدابه، ووسائل كفاحه المستمر مع نفسه أولاً، ومع الطبيعة ثانياً من أجل البقاء.

وهكذا فإن مقياس الحضارة الإنسانية هو إمكانية صراع الإنسان مع نفسه ومع الطبيعة ، وطرق أدائه لحاجاته المختلفة، واختصاره الزمن لبلوغ

(١) نفس المرجع ، ص ٣٧ ـ ٣٩ .

حياة أبقى وأنقى وأرقى[١].

## الفرق بين الدراسة الحضارية والدراسة التاريخية.

تهتم الدراسة الحضارية بمجموع القيم الاجتماعية والأنماط الثابتة المرتبطة التي تتحكم في نشاط المجتمع، وكون له شخصيته الحضارية بكل ما يتصل بهذه الشخصية من مفهومات الحياة والموت، والطبيعة والتاريخية، والعلاقات الاجتماعية، ومصير الإنسان.

ولذا كانت الدراسة الحضارية بمفهومها العلمي تميل إلى النظرة الكلية التي من شأنها أن تكشف عن ظواهر الحياة من كافة جوانبها لتبعث التاريخ الاجتماعي في صورة شاملة.

وعلى هذا فإن هناك صلة وثيقة ما بين دراسة التاريخ ودراسة الحضارة من حيث الاهتمام بالحياة الإنسانية في ماضيها، والعناية الخاصة بواقع الأجيال السالفة في مختلف أحداثه وظواهره.

غير أن هناك فارقاً واضحاً بين اهتمام الدراسة التاريخية بواقع الأجيال السالفة ، واهتمام الدراسة الحضارية بذلك الوقاع . ويتمثل هذا الفارق في أن لكل من الدراستين منهجاً خاصاً في تناول الماضي واستحضار معالمه، وفي تصوير الظواهر والملابسات[٢].

---

(١) د/ أحمد الشريف، دراسات في الحضارة الإسلامية، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٢ ـ ٢٠

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٠ ـ ٢٧ .

فدراسة التاريخ كانت وما تزال قائمة على ذلك المنهج التقليدي، الذي يتسم باستقصاء الحقائق وتفاصيل الجزئيات. فالمنهج التقليدي يميل إلى التخصص وتجزئة الوحدة الموضوعية في حياة المجتمع، فالمؤرخ يكتفي عادة بجانب واحد من جوانب النشاط الإنساني لذلك العصر. ولكن الحضارة الإسلامية في كافة عصورها ومراحلها وحدة تاريخية متكاملة، كما أن الأصول الروحية والمادية التي قامت عليها هذه الحضارة ظلت ماثلة في كيان المجتمع الإسلامي في كافة العصور وحتى يومنا هذا.

وهكذا يتضح لنا قيمة الدراسة الحضارية، فهي لا تنهج منهج التاريخ في تفسير الأحداث وتصور الماضي، وهي تجمع بين العنصر التاريخي والعنصر الفلسفي، وتهتم قبل كل شئ ، بما بين الاتجاهات الاجتماعية من وجوه التفاعل والارتباط، فلا تعني دراسة الحضارة بالتفصيلات أو الجزئيات، وإنما تعني بالنظرة الكلية التي تتضح من خلالها شخصية المجتمع الحضارية ، وملامح نشاطه الإنساني في كل اتجاه من اتجاهاته.[1]

## الفرق بين الحضارة والمدينة.

١ ـ أن الحضارة تتمثل في القيم الإنسانية التي يمكن أن تكون غاية في ذاته. وبهذا يكون الجانب الحضاري من المجتمع يتألف من القيم الروحية والفلسفية، وكذلك القيم الفنية والأخلاقية، وبتعبير آخر تصبح الحضارة

(١) د/ أحمد الشريف ، المرجع السابق، ٢٦ ـ ٢٧ .

مقصورة على التكوين الوجداني للمجتمع ، بما في هذا معتقداته الدينية، ومفهوماته نحو الحق والخير أما المدنية فهو شيء يختلف عن الحضارة في طبيعته وأغراضه، فعلى تختص الحضارة بالنشاط الروحي والتكوين الوجداني للمجتمع، المدنية تختص بالنشاط العقلي والمدني. وعلى هذا يكون مدلول المدنية مقصوراً على ذلك النشاط العملي الذي يمارسه الفرد والمجتمع باعتباره وسيلة لا يقصد بها أكثر من التغلب على ضرورات الحياة وظواهر الطبيعة وعلى ذلك تصير المدنية مشتملة على ما اكتسبته المجتمعات في تاريخها الطويل من خبرات وتجارب في سبيل التغلب على الضرورات المادية، والسيطرة على واقع الحياة سيطرة تكفل للإنسان الاكتفاء والاستقرار.

٢ ـ إن الحضارة هي النشاط الاجتماعي الذي ترتبط بالجانب الروحي والعاطفي من الإنسان، ولا يسهل اقتباسه وانتقاله من مجتمع إلى آخر. وأن المدنية هي النشاط الاجتماعي الذي يرتبط بالجانب العقلي والمادي من الإنسان وتسهل اقتباسه وانتقاله من بيئة إلى أخرى[١].

٣ ـ تختلف الحضارة عن المدنية من حيث طبيعة النمو والتطور، فالتراث الحضاري. للمتجتمع ينشأ وينمو في صورة طفرات تاريخية، بينما تراث المدنية ينشأ وينمو ويتطور في صور تدريجية أو تراكمية.

(١) نفس المرجع.

فالحضارة تتسع لتشمل المدينة بما تدل عليه من نشاط مادي ومعرفة تطبيقه، فالحضارة أعم وأشمل من المدينة فالحضارة تشمل كل ما ينطوي عليه الكيانم الاجتماعي من مبادئ الدين والسياسة والاقتصاد والأخلاق والثقافة أما المدنية فتعبر عما حققه الإنسان في واقع الحياة من خبرات عملية(١).

والمدنية تمثل النشاط العملي المادي الذي يمارسه الفرد والمجتمع، باعتباره وسيلة للتغلب على ضرورات الحياة وظواهر الطبيعة، وبذلك تكتسب المدينة خبرات وتجارب للتغلب على الضرورات المادية والسيطرة علي واقع الحاية سيطرة تكفل للإنسان الاكتفاء والاستقرار.

ولاشك أن لكل مجتمع حضارته التي هي قيمه العليا والتي هي غاياته، أما مدنيته فهي وسائله في واقع الحياة. ومن هنا يتبين لنا أن النشاط الإنساني يسير في اتجاهين الأول روحي ووحداني والثاني عقلي وعملي ونقصد بذلك (روحي ووجداني والحضارة) و (عقلي وعملي = المدنية).

ومهما يكن من أمر، فإن أبرز ما يتميز به المدنية الغربية المعاصرة هو استغلال العلم في سبيل السيطرة على قوى الطبيعة وظواهرها، استغلالاً من شأنه أنه ممكن لإنسان من التحكم في ملابسات الواقع المادي. فقد

(١) د/ أحمد الشريف، المرجع السابق، ص ٢٨ ـ ٣٠

سيطرت المدينة على ظواهر العالم الحسي وأخضعتها لإرادة الإنسان ومطالبه، فتغلبت على حواجز المكان والزمان، والغاء المسافات والحدود التي كانت تفصل بين المجتمعات البشرية بعضها عن بعض. وكان من نتيجة ذلك أن أصبح العلم المداية متقارب الأطراف، ولعل ثورة التكنولوجيا والمعلومات قد جعلت العلام أشبه ما يكون بالقرية الصغيرة.

ولا ريب أن الحضارة الإسلامية قد وجهها الإسلام وأظلها بظله وطبعها بطابعه فالدراسات النظرية والعملية والأطعمة والأشربة والعقاقير والأسلحة والحبوذ والنشاط التجاري والبحري تدل على مساهمة الإسلام في كل ذلك مساهمة أكيدة وفعاله[1].

(٢) نفس المرجع، ص ٣٠-٣٧.